

ذكرى ثورة الملك والشعب

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، يوم 22 ربيع الأول 1416 هـ الموافق 20 غشت 1995م، خطابا هاما الى الامة بمناسبة الذكرى الثانية والأربعين لثورة الملك والشعب و كان جلالتة خلاله محفوا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد .
وفي ما يلي نص الخطاب الملكي السامي:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز

جرت العادة أن أخطبك في مثل هذا اليوم كل سنة وذلك لتخليد ذكرى ثورة الملك والشعب. وقد قيل وكتب الكثير عن هذه الذكرى ولن ينساها إن شاء الله تاريخنا المجيد بل سوف تزيد الأتلام في ما كتب عنها وسوف تبقى الذاكرة حية ممتدة من جيل الى جيل وذلك تطبيقا لقوله سبحانه وتعالى «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين». وسوف أبتدىء خطابي هذا - شعبي العزيز - بكلمتين قالهما والذي رحمة الله عليه عند رجوعه من المنفى.
الاولى : قال من كتاب الله عز وجل «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور».

والثانية : قال حكمة من حكم جده وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم «قد خرجنا من الجهاد الأصفر الى الجهاد الأكبر».
وأريد أن أركز على هذه النقطة الأخيرة. فعلا لقد خرجنا من جهاد أصفر الى جهاد أكبر. وحينما أرجع بالذاكرة الى يوم 20 غشت سنة 1953 حينما كانت السماء كالحة وكانت الآمال منقطعة وكانت العقول تائهة لم يكن أحد منا يعتقد أن ذلك اليوم سوف

يكون انطلاقاً أيام ماجدة وخالدة يجب أن تكتب بماء الذهب في تاريخ بلدنا. نعم مضت السنون والأحقاب على تلك المدة وحينما أقيم ما وصل إليه المغرب من تقدم وازدهار في عدة مجالات أرى أن الحصيلة ولله الحمد حصيلة إيجابية.

نعم عرفنا في طريقنا صعوبات ومشاكل ولم تكن أمامنا دائماً إلا النجاحات بل وقع لنا أن رسبنا في بعض الرهانات ووقع لنا أن لم نكن في المستوى أمام بعض المشاكل. ولكن حينما نرى الميادين الاقتصادية والاجتماعية ونرى أن المغرب رغم قلة وسائله أخذ على نفسه أن ينمي هذين المجالين الاجتماعي والاقتصادي بكيفية متوازنة كان آنذاك يراهن ويضرب للتاريخ مواعيد.

والكثير كان لا يظن أننا سنصل إلى تلبية حاجيات المجال الاقتصادي والمجال الاجتماعي. ولكن وصلنا ولله الحمد إلى ما كنا نتوخاه. وصلنا إلى مغرب نام مغرب لا يعد من الدول السائرة في طريق النمو بل من الدول النامية. وصلنا إلى مغرب يحترم نفسه في الداخل وأعطى لنفسه مؤسسات دستورية وديمقراطية تجعله يسير في المحبة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك.

نعم يمكن أن يقال إنه وقع في هذا الانتخاب أو ذاك تزوير أو غش ولكن هذا المظهر الشكلي لا يغير أي شيء من الثوابت الدستورية المتقدمة المتطورة التي أرادها المغرب وأردناها لأن بلدنا يريدنا قمشياً مع روح ثورة الملك والشعب.

فكل ما نأمل لبلدنا نشعر أخيراً أن بلدنا كان ينتظره وكل ما يتوق إليه بلدنا نحس داخل أنفسنا أننا نقاسمه ذلك الطموح وتلك الرغبة.

إلا أن هناك مشكلاً أساسياً يقض مضجعنا ويذهب بآلنا وربما يجعل مثالنا في خطر ألا وهو - أكرر ذلك - مشكلة التعليم لأنه لإنهاء بدون تعليم ولا نماء بدون رجال ولا نماء بدون تكريم. فهل يا ترى سنبقى هكذا إلى أن يصل المغرب إلى 40 مليون نسمة. هل سيكون المغرب آنذاك قادراً على أن يضمن العيش والقوت والشغل والكرامة والعزة لجميع مواطنيه حينما يبلغ عددنا 40 مليون.

أقول هذا للتذكير بأن هذا المشكل - وإن كان ليس هو موضوع خطابنا اليوم - سرف أكرره عليك شعبي العزيز مراراً وتكراراً كلما أتاحت لي الفرصة لأنه أرانا كالذي وصل إلى قمة جبل وأراد إن يقفز في الهواء فإذا به يجد أنه نسي أن لامظلة له. فنهايته هي

أن يهلك ويحطم مكاسبه. ولكن أرجو الله أن يكون ندائي الأول وتذكيري هذا قد بلغا هدفهما وأن نهتدي إلى الطريق السوي لإيجاد حلول ناجعة وإيجابية وفي أقرب وقت ممكن ليمكثنا أن ننام وأن نرتاح ولیمكثنا أن نقول «عند الصباح بحمد القوم السرى».

سأقترح عليك شعبي العزيز يوم الجمعة 15 سبتمبر المقبل استفتاء تعديل الدستور يتعلق بعرض القانون المالي أمام مجلس النواب في آخر دورة شهر أبريل بدل آخر دورة شهر أكتوبر. في غضون السنة القادمة سأدعوك شعبي العزيز إلى استفتاء آخر لتعديل دستوري يجعل للمغرب غرفتين غرفة النواب وغرفة الشيوخ.

شعبي العزيز

كنت قلت لك في خطاب سابق إنني أعتبر أنه يجب تعديل الدستور تعديلاً ينص على التصويت على القانون المالي في آخر شهر يونيو وكنت قلت لك إنني - أعرض عليك هذا التعديل للاستفتاء. هناك من يظن أن هذا التعديل هو تعديل تقني. أقول لا. فهو ليس تعديلاً تقنياً أبداً بل في تسيير نظام الدولة المالي والاقتصادي هو تعديل أساسي ذلك لأن المغرب لا يزال وسوف يبقى لمدة سنوات يعتمد قبل كل شيء على فلاحته. وفلاحتنا كما تعلم مهددة بالمخاطر الطقسية وكيفما كانت مجهوداتنا لتنويع الفلاحة وتطويرها وكيفما كانت بحوثنا وكيفما كانت تخطيطاتنا سنحتاج إلى حقب من الزمن لنصل إلى معادلة تجعل الفلاحة وإن كانت أساساً لن تصبح إلا أساساً من بين الأسس الأخرى. فإذاً علينا أن نضرب حساب المدخول الفلاحي وندخله في ميزانيتنا حتى لا تكون معرضين للتشاؤم السلبي ولا التفاؤل الخالم في التخمينات والتقدير. إن هذا التعديل ليس تعديلاً تقنياً لأن المدخول الفلاحي عندما تكون السنة طيبة يراوح ما بين 600 و 700 مليار سنتيم من المال الذي لا تعطيه الدولة ولكن تتمتع به الأمة قبيح من يبيع ويشترى ويكوي ويكوي من يكرى ويكوي من يكرى من يكرى. ويكثر الرومان. وهكذا يكون نشاط نائب يجري في شريان الأمة وفي شريان نسيج الشعب المغربي.

لهذا - شعبي العزيز - أقترح عليك يوم الجمعة 15 شتنبر المقبل إن شاء الله التعديل الدستوري الاتي.. وهو أن يكون التصويت على الميزانية في آخر دورة شهر أبريل بدل آخر دورة شهر أكتوبر. وأمل - شعبي العزيز - أن تجيب بنعم على عادتك ثقة أولاً في

ما أطلبه منك وثانيا علما راسخا بهذه الحقيقة التي لا يمكن أن ينكرها أحد الا من أراد أن يتفلسف أو أن يكون بعيدا عن الحقائق اليومية. ولكن لن أقف عند هذه الخطوة بل - أدعوك في غضون السنة المقبلة إن شاء الله الى استفتاء آخر. استفتاء مهم جدا يمس صلب الدستور و صلب النظام التمثيلي. عندنا في المغرب. ذلك أنتي - اقترح عليك - شعبي العزيز - في السنة المقبلة إن شاء الله أن تصوت بنعم على تعديل للدستور يجعل للمغرب غرفتين.. غرفة النواب وغرفة الشيوخ مثلا كما يمكن ان نسميها انذاك. لماذا - أدعوك الى هذا الاستفتاء في السنة المقبلة والذي ادعوك للتفكير فيه جيدا منذ الان. أولا لان الدستور المعدل الاخير يذكر في فقراته الجهة. والجهة لا يمكن ان يكون لها معنى الا اذا كانت ممثلة على المستوى التقريبي لا الاستشاري.

ثانيا نعتقد ان الجماعات المحلية والحرف كيفما كان نشاطها وحيويتها وكيفما كان تنافس اعضاء مجالسها لا يمكنها ان تعطي ما هو منتظر منها ما دامت مشتتة ومتفرقة وما دامت لم تجمع آراؤها ورغباتها وقراراتها بان تكون ممثلة في مجلس نيابي له حق التقرير.

اخيرا نعتقد ان هذا المجلس الثاني سيعطي للامركزية معناها الحقيقي واننا سنرى انذاك الجهات تدلي بآرائها وتقوم ما اعوج وتعبير كذلك عن طموحاتها ونرى انذاك تنافسا بين الغرفتين تنافسا حقيقيا اما الان فمجلس النواب عليه ان يهتم بالعام ويهتم بالخاص. والذين يهتمون بالخاص والحرف وبالجماعات المحلية والحالة هم سواد العاملين في المغرب الممثلين للفلاحين والتجار والصناع والشغاليين وارباب الحرف هم الذين يعطوننا قوتنا اليومي وهم الذين يكونون يدنا الحقيقية ووسائل عيشنا. فلا يعقل ان يبقوا ممثلين بالثلث فحسب ولا يعقل كذلك ان يكونوا فقط في مجلس استشاري كالمجلس الاجتماعي والاقتصادي بل يجب ان يعطوا حظهم ورتبهم ومكانتهم الحقيقية في مجلس نيابي له حق التقرير.

لماذا لم استجب الى بعض الرغبات التي رفعت الى اتخاذ هذا القرار من قبل. إن ذلك يرجع لسببين السبب الاول هو انني لازلت أعيش بذاكرتي تلك المرحلة التي كان للمغرب فيها غرفتان. وكانت التجربة انذاك لا اقول فاشلة ولكن كانت معاقة. ولم ارد ان يقع المغرب في مثل المشكل الذي كان فيه في ايام الدستور الاول.

ثانياً ربما أنا بطيء في التفكير وإن كنت سريعاً في الاستماع. فحينما تكون المسألة متعلقة بمصير البلاد أكون بطيئاً في التفكير ولكن سريعاً في الانحياز. ربما كنت بطيئاً في التفكير لأنني أردت أن ابني اختياري هذا الذي سيوضع أمام اختيارك لأن الكلمة الأخيرة - شعبي العزيز - هي لك والقرار الأخير هو قرارك. فقبل أن أضع هذا الاختيار أمام رأيك أردت أن اقتنع لاقنعك. أما الآن فقد أصبحت مقتنعا وحين يأتي الوقت في السنة المقبلة إن شاء الله - أرجو إليك انذاك خطاباً بعد استشارات مع هؤلاء وأولئك.. خطاب المقتنع الذي يريد أن يقنع. ولكن لا يخامرني شك أنك قد أدركت مدى هذا التعديل وقد قفزت بكيفية نوعية وكمية في ظرف وجيز من التفكير وعلى ضوء هذه الكلمات الوجيزة التي قلتها أمامك اليوم أنك قد قفزت في الزمان وأنت قد حللت وسوف تصبح محلل. وأنا على عادتنا سوف نكون على وثيرة واحدة.

لماذا شعبي العزيز ذكرت بهذه المناسبة تعديلين في الدستور.

كما يقول علماؤنا وأساتذتنا «نرجع إلى ما كنا بصدد».

بدأت كلمتي هذه يقول النبي صلى الله عليه وسلم «لقد خرجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» لا بين لك - شعبي العزيز - ولاعطيك الدليل القاطع على أن الكلمات ليست كلمات جوفاء ولا فارغة وإن الخروج من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر لا يزال ينطبق علينا بعدما ينقضي على أربعين سنة وإن الخروج من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر سيقضي هو منهجنا ومنهج ابنائنا وحفدتنا حتى يمكننا أن نتصدى للمخاطر وإن تغلب على المصاعب وإن تكون في مستوى ما ينتظرنا من مسؤوليات جسام.

فهناك أولاً كما قلت لك مسألة ضمان التغذية للأجيال المقبلة وتشغيلهم وإسكانهم وإعطائهم الحياة الكريمة العزيزة. ثم يجب أن يبقى المغرب بلداً محترفاً سواء في جهته أو في قارته أو في العالم بأسره.. يجب أن نبقى محترمين والاحترام لا يولده سوى شيء واحد هو التحرك الحكيم والدؤوب من الحسن إلى الأحسن ومن الطيب إلى الأطيب ومن الكريم إلى الأكرم والسير دائماً وابتداً للخروج من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.

إننا نخوض اليوم جهاداً أكبر ولكن جهادنا غداً سيكون أكبر من جهادنا اليوم لأن حالة العالم غداً لن تكون كحالته اليوم. فمشاكل الدنيا تجارياً وصناعياً وسياسياً

وعسكريا - لاننا نسمع اليوم دوي المدافع في كل جهة - لن تبقى على حالها ولست متفائلا بالنسبة للمستقبل وبالنسبة للعالم. فالمساكل لن تحي بل ستتزايد وتنوع واذا لم نكن قادرين على ان نواجهها وان نكون مسلحين للدفاع عن انفسنا ولنتبرأ المقام اللائق بنا سوف نكون انذاك قد تراجعنا من الجهاد الاكبر الى جهاد اصغر ومن جهاد اصغر الى الاضمحلال والانحواء تقريبا - لا قدر الله - من خريطة عالم الشعوب المحترمة التي توزن كلمتها بميزان الثقة والاعتبار.

قبل ختام كلمتي هذه - شعبي العزيز - اريد ان نترحم معا على ارواح شهدائنا اولئك الذين منذ 20 غشت الى يوم 16 نوفمبر 1955 ضحوا بارواحهم وحریاتهم واسرهم. كما اريد ان اترحم على ارواح شهدائنا في الصحراء الذين بذلوا النفس والنفس للدفاع عن وحدتنا الترابية. ارجو الله سبحانه وتعالى ان يبرئهم مقامهم اللائق بهم «مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا».

صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.